الا انه حذف تنوينه لالتقاء الساكنين كما في قراءة من قرأ قل هو الله احدُ الله الصمد
فان التنوين في عزير ساكنة وكذا الباء في ابن الله فانه ايضا ساكنة فالتقى ساكنان فحذف نون
التنوين فيه بينهما على ان عزير مرفوع على الابتداء وابن الله صفته والخبر محذوف اي عزير
ابن الله صاحبنا وامامنا ومتبوعنا وقد تقرر ان لفظ الابن متى وقع صفة بين علمين
غير مقصود بينه وبين موصوفه حذفت الفه خطا وتنوين موصوفه لفظا
وزيف المصنف هذا الاحتمال بناء على ما نقل عن عبد القاهر الجرجاني انه قال
في دلائل الاعجاز ان الاسم اذا وصف بصفة ثم اخبر عنه فمن كذب ذلك الخبر
انصرف التكذيب الى الحكم باتصاف المحكوم عليه بالمحكوم به فيكون الحكم عليه بالوصف
الذي نسب اليه مسلما فلو تعلق الانكار بقولهم عزير ابن الله معبودنا لتوجه
لهم ويكون توصيفه بانه ابن الله مسلما ومن المعلوم ان تسليم ذلك كفر قوله
اما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم جواب عما يقال ان القول انما يقال بالفم فما معنى قوله
تعالى ذلك قولهم بافواههم اجاب عنه بوجهين تقرير الاول ان القول وان كان لا يتحقق الا
بالفم الا انه يتوهم ان يكون القول مجازا عن اداء المرام بغير اللسان كالكتابة
والاشارة فبين ان القول الذي اسند اليهم واقع بافواههم والسنتهم دفعا لتوهم المجاز وتاكيد
النسبة اليهم وتقرير الثاني انه لو اكتفي بان يقال ذلك قولهم لفهم ذلك القول بعينه عما في ضميرهم
وان مدلوله ثابت في قلوبهم متابعوه ومسندا الى الدليل والبرهان فقيل بافواههم
ليعلم ان ذلك القول لفظ لا يتفوهون به بالسنتهم وليحكي به عما في ضميرهم فهو بمنزلة الالفاظ
المهملة الفارغة عن المعنى المندرجة تحته فان القول اذا لم يكن له ولا يليق معنى يقبله العقل
للعلم بانه تعالى منزه عن الحاجة والشهوة والمباضعة والصاحبة بعينها فهو مجرد
يقال بالفم كالمهمل قوله والهمزة لغة فيه قراءة العامة يضاهون بضم الهاء وبعدها واو
ساكنة وقراءة عاصم الهاء مكسورة بعدها همزة مضمومة بعدها واو فقيل هما بمعنى واحد
وهو المشابهة ففيه لغتان ضاهات وضاهيت قوله اي يضاهي قولهم اي يضاهي قول اليهود
والنصارى الكائنين في عهده عليه السلام قوله قدماؤهم قوله او المشركون اي او المراد من قوله الذين كفروا
من قبل المشركين والمعنى يضاهي قولهم قول المشركين من قبلهم الملائكة بنات الله وعلى هذا يجوز ان
يكون ضمير يضاهون للنصارى يكون المعنى يضاهي قول النصارى قول اليهود الذين قالوا عزير ابن الله
قوله او المشركون اي او المراد من قوله الذين قاتلهم الله قيل ذكر اللازم وارادة للتعذر ارادة الحقيقة
او من قبيل ما ذكر تعجبا مع قطع النظر من الملائكة المصححة للانتقال من المعنى الاصلي الى المعنى المراد قوله
اللزوم وارادة م

قوله بان اطاعوهم او بالسجود لهم يؤيد الاول ما روي عن عدي بن حاتم كان
نصرانيا وقال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب وهو يقرأ سورة
البراءة فقال يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك فطرحته ثم انتهى الى قوله تعالى اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فقلنا انا لسنا نعبدهم فقال عليه السلام اليس
يحرمون ما احل الله فتحرمون ويحلون ما حرم الله فتستحلونه فقلت بلى قال ذلك
عبادتهم ونحوه اطلاق عبادة الشيطان على عبادته وقبول وسوسته كما في قول ابراهيم
عليه السلام لابيه يا ابت لا تعبد الشيطان فيكون قوله تعالى اتخذوهم اربابا التشبيه البليغ طاعتهم
اي كالارباب والمعنى اطاعوهم وعبادهم فيما امروا به طاعة العبيد للارباب علماؤهم
قال تعالى حتى اذا جعله نارا اي كالنار قوله او بالسجود لهم اي او بالاقران في تعظيمهم فانه بمنزلة
العبادة لهم والاحبار جمع حبر بالفتح وقيل جمع حبر بالكسر قيل هما لغتان بمعنى وهو الفقيه العالم الذي
صنعته تحبير المعاني بحسن البيان ذميا كان او مسلما بعد ان يكون من اهل الكتاب
الا انه غلب في علماء اليهود من اولاد هارون والرهبان جمع راهب وهو الذي تمكنت
الرهبة والخشية في قلبه وظهرت اثارها في وجهه ولسانه وهيئاته وغلب في عباد
واصحاب الصوامع منهم قوله والمسيح بن مريم معطوف على قوله رهبانهم جمع اليهود
والنصارى في ضمير اتخذوا مع ان الذين اتخذوا احبارهم اربابا اليهود وان
الذين اتخذوا رهبانهم والمسيح بن مريم اربابا هم النصارى لامن اللبس والمعنى اتخذوا
اليهود احبارهم اربابا والنصارى اتخذوا رهبانهم والمسيح بن مريم اربابا
قوله اي وما امر المتخذون فهو حال مقررة لوجه الانكار على اتخاذهم اي فكيف
يتخذونهم اربابا من دون الله والحال انه تعالى ما امرهم في التورية والانجيل
وبادلة العقل الا ليعبدوا الها من دون الله واحدا وان الضمير للارباب
المتخذة يكون كالبرهان على بطلان الاتخاذ اي وما امر هؤلاء الارباب المتخذة
الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون
مثلهم قوله وقيل انه تمثيل عطف على ما يفهم من قوله حججه الدالة على وحدانيته تعالى
او القران او نبوته عليه السلام فان المجاز على جميع التقادير يكون في المفرد حيث شبه احد الثلاثة
المذكورة بالنور من انها اسباب للظهور وعبر عنها باسم المشبه به وعبر عن الهيئة الى
المشبهة بما يعبر به عن الهيئة المشبه بها فيكون الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث مثل
حالهم في طلبهم ابطال نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووحدانيته تعالى ودينه الحق الذي هو الاسلام بالتكذيب
والشرك

Copyright © King Saud University